بسم الله الرحمن الرحيم

الملتقى وطني:

"قيم الثورة الجزائرية من التحرر الوطني إلى الإشعاع العالمي"

يومي 25-26 ربيع الثاني 1446هـ الموافق لـ 29-30 أكتوبر 2024

جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

نداء مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في القاهرة إلى الشعب الجزائري

بتاريخ: 15 نوفمبر 1954 م.

-دراسة فقهية تحليلية-

An appeal from the office of the Association of Algerian Muslim Scholars in Cairo to the Algerian people Dated: November 15, 1954 AD. -Analytical jurisprudential study-

أد ربيع لعور

أستاذ التعليم العالي

كلية الشريعة والاقتصاد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر)

rabie.laouar@univ-emir.dz

الملخص:

قراءة النصوص التاريخية معوانٌ على حفظ ذاكرة الأمة الجمعيَّةِ، وبخاصة النصوصُ التي تشكِّلُ منعرجا في فهمِ الأحداث، ومن ذلك: **نداء مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في القاهرة إلى الشعب الجزائري، بتاريخ: 15 نوفمبر 1954 م، وهو بعنوان: "نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد: نعيذكم بالله أن تتراجعوا ...".**

والبيان ذو قيمة تاريخية وفقهية من ناحية تاريخ صدوره؛ فقد كتب بعد نصف شهر من اندلاع الثورة، ومن ناحية هيئته العلمية، وهو مكتب الجمعية بالقاهرة برئاسة الإمام الإبراهيمي وبمعيَّة الشيخ الورثيلاني، وهم فقهاء في الشريعة الإسلامية.

وبعد فحص البيان واستبطانه؛ انتهت المداخلة إلى نتائج، هذه أهمها:

1. البيان مؤيِّدٌ لشرعية الثورة بلا امتراء، وقد ألبسها سربال الجهاد المشروع.
2. احتكم البيان إلى المرجعية الفقهية الشرعية، وإن نحى منحى الخطاب الإعلامي.
3. قطعَ البيانُ في الحكم الفقهي لنصرة الثورة، وتميَّز بالصرامَةِ في إطلاق أحكام الردة على من ينصر المستدمر، ويرضى باحتلاله.
4. عوَّلَ البيان على العاطفة الدينية عند الشعب الجزائري، ووظَّفها في التحريض على الثورة.
5. لم يعتبر البيان التفاوت في القوة بين مجاهدي الثورة والمحتل الغاشم.
6. عدَّ البيان الثورةَ ضرورةً لا خيارَ في خوضها، ولا اعتبار لأيِّ شرطٍ في نُصرتها.
7. نسَفَ البيان شبهة التعاون مع المحتلِّ مع دعوى حسن النيَّةِ، ورفض الاستناد إلى الضرورة إلا في شؤون الأفراد لا الأمة والجماعات.
8. حرص البيانُ على الوحدة الوطنية في ظل مبادئ الإسلام، وهو ما يتماهى مع بيان أول نوفمبر 1954م.

هذا، وقد انتهت المداخلة إلى إشكالٍ جديرٍ بالبحث مع التجرُّد والموضوعية؛ وهو: لماذا يحصل اللغط أو الغلط في موقف الجمعية مع وجود هذا البيان وأشكاله؟، **ومهما كان الجواب؛ فإنَّ الإشكال متعلقٌ بسؤال السبق، ومن أدرك ركعة مع الإمام فقد أدرك الصلاة !.**

الكلمات المفتاحية: الإبراهيمي – الثورة – جمعية العلماء –الفتوى.

ABSTRACT:

Reading historical texts helps preserve the nation’s memory, including: An appeal from the office of the Association of Algerian Muslim Scholars in Cairo to the Algerian people, dated: November 15, 1954 AD, entitled: “An Appeal to the Mujahid Algerian People: We seek refuge with God from you not to retreat....

The statement has historical and jurisprudential value in terms of the history of writing. It was written half a month after the revolution, and by the Scientific Committee, which is the association’s office in Cairo headed by Imam Al-Ibrahimi and Sheikh Al-Warthilani, who are jurists in Islamic law.

After studying the statement; We reached results, the most important of which are:

1. The statement completely approved of the revolution, and described it as jihad.
2. The statement was based on Islamic jurisprudence, and was written by scholars in the form of an informational text.
3. The statement confirmed the jurisprudential ruling in support of the revolution, and was distinguished by its severity in issuing rulings of blasphemy on the agents of colonialism.
4. The statement used the religious sentiment of the Algerian people to incite revolution.
5. The statement did not stipulate parity in force between the mujahideen and the brutal occupier.
6. The statement believes that revolution is necessary for liberation.
7. The statement nullified cooperation with the occupier while claiming good faith, and rejected the claim of necessity except in cases of individuals only.
8. The statement emphasized national unity within the framework of the principles of Islam, which is consistent with the statement of November 1, 1954 AD.

The intervention pointed out a problem in the research; Which is: Why is there so much talk about the position of the Association of Scholars despite the existence of this statement and others like it? And whatever the answer is; The question relates to precedence, and whoever prays one rak'ah with the imam has completed the prayer!

Keywords: Al-Ibrahimi - Al-Thawra - Association of Scholars - Fatwa.

عنوان النشاط: الملتقى الوطني الأول: قيم الثورة الجزائرية من التحرر الوطني إلى الإشعاع العالمي.

تاريخ النشاط: 25-26 ربيع الآخر سنة 1446 هـ الموافق 29-03 أكتوبر 2024 م كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر).

الجهة المنظمة: كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر).

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن موالاه:

إن الأمة التي لا ذاكرة لها لا مستقبل لها، وقراءة نصوص التاريخ معوانٌ على حفظ ذاكرتها الجَمْعيةِ، لكنَّ هذه القراءة لا بد أن تحتكم إلى معايير علمية، وقواعد معرفية، حتى يكون النظر فاحصا، والتحليل عميقا ومنضبطا، وبخاصة النصوص التاريخية التي تشكِّلُ منعرجا في الأحداث.

وهو ما جاء هذا الملتقى العلمي ليعالجه ضمن محاوره، وخاصة منها:

المحور الأول: **الفكر التحرري والثورة الجزائرية**.

الذي اعتنى بجزئية:

- **الثورة التحريرية في الكتابات الوطنية والدولية**.

وهو ما استنهضني إلى المشاركة في إثرائه بدراسة نص تاريخي متعلق بثورة نوفمبر الخالدة، قمينٍ بالتحليل، وجديرٍ بالدراسة، وهو بعنوان: "**نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد: نعيذكم بالله أن تتراجعوا** ...".

هذا النص له قيمته التاريخية والمعرفية للاعتبارات الآتية:

الأول: قيمة كاتبه العلمية، وهو الإمام مُحَمَّد البشير الإبراهيمي (ت1965م) رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي حملت على كاهلها ثقل الثورة الإصلاحية العلمية، ونَفَسُ كتابة النِّداء؛ فيه روح الإبراهيمي بلا ريب، عند كل من عالج قراءة تراثه.

الثاني: قيمة التاريخ الذي كتب فيه البيان، وهو 15 نوفمبر 1954م أي بعد نصف شهر من اندلاع الثورة التاريخية المباركة.

الثالث: قيمة الهيئة العلمية التي خرج باسمها النص، وهو مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة؛ فقد خرج النصُّ ممهورا بتوقيع الإمام الإبراهيمي، والشيخ الفضيل الورثيلاني (ت 1959م).

وفي تقديري أن هذا النص لم يلق عناية تاريخية وفقهية من جهة تفكيك عباراته، وتحليل جمله، واستبطان دلالاته، وهو ما أردت –إن شاء الله تعالى– أن أبسطه وأوضحه في هذه المداخلة الموسومة بعنوان:

نداء مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في القاهرة إلى الشعب الجزائري

بتاريخ: 15 نوفمبر 1954 م.

-دراسة فقهية تحليلية-

ويمكن حصر أهداف هذه المداخلة –إن شاء الله تعالى– في الآتي:

1. إبراز المستند الديني في نصرة الثورة التحريرية، وتجييش الشعب الجزائري في نصرتها.

2. بيان المآخذ الفقهية والمدارك الأصولية لهذا النداء، الذي يعد بمثابة فتوى شرعية في مجتمع جزائري مسلم يرنو إلى الاستقلال، ويهفو إلى الشهادة وفداء الوطن.

3. كشف بعض الشبهات التي أُثيرت في وجوه مجاهدي الثورة التحريرية، ودورُ البيانِ في إبراز تهافتها.

وإخالُ أن هذا التحليل سيكشف النقاب عن ملمح عظيم من ملامح دعم رجالات الإصلاح للثورة التحريرية المباركة، مع الإشادة بأنَّني استعنت في التحليل ببعض كتابات الإمام الإبراهيمي المحرَّرة في السياق الزمني ذاته بما يصبُّ في فكِّ بعض المصطلحات، أو توضيح بعض وجوه الاستدلال، وفيما يأتي تحرير المقصود، ولكن بعد سرد نص البيان:

نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد

نعيدكم بالله أن تتراجعوا... [1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها المسلمون الجزائريون:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حياكم الله وأحياكم، وأحيا بكم الجزائر، وجعل منكم نورًا يمشي من بين يديها ومن خلفها، هذا هو الصوت الذي يُسمع الآذان الصم، وهذا هو الدواء الذي يفتح الأعين المغمضة، وهذه هي اللغة التي تنفذ معانيها إلى الأذهان البليدة، وهذا هو المنطلق الذي يقوم القلوب الغلف، وهذا هو الشعاع الذي يخترق الحجب والأوهام.

كان العالم يسمع ببلايا الاستعمار الفرنسي لدياركم، فيعجب كيف لم تثوروا، وكان يسمع أنينكم وتوجعكم منه، فيعجب كيف تؤثرون هذا الموت البطيء على الموت العاجل المريح، وكانت فرنسا تسوق شبابكم إلى المجازر البشرية، في الحروب الاستعمارية، فتموت عشرات الآلاف منكم في غير شرف ولا مُمَجَّدة، بل في سبيل فرنسا، وتوسيع ممالكها، وحماية ديارها، ولو أن تلك العشرات من الآلاف من أبنائنا ماتوا في سبيل الجزائر، لماتوا شهداء وكنتم بهم سعداء.

أيها الإخوة الجزائريون:

---

[1] انظر: آثار الإبراهيمي: (5/33-36).

وقد علَّق الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي في الحاشية بقوله: "بيانٌ نُشر ووجه من القاهرة في 15 نوفمبر 1954، وهو منشور في كتاب (الجزائر الثائرة) للمرحوم الأستاذ: الفضيل الورتلاني الذي طبع بلبنان في الخمسينات، وذكر الشيخ مُحَمَّد خير الدين في مذكراته أنَّ نسخة من هذا النداء تحت يده، مذكرات (1/384)". آثار الإبراهيمي: (5/33).

اذكروا غدر الاستعمار ومماطلته.

احتلت فرنسا وطنكم منذ قرن وربع قرن، وشهد لكم التاريخ بأنكم قاومتموها مقاومة الأبطال، وثرتم عليها مجتمعين ومتفرقين، نصف هذه المدة.

فما رعت في حربها لكم دينًا ولا عهدًا، ولا قانونًا ولا إنسانية، بل ارتكبت كل أساليب الوحشية، من تقتيل النساء والأطفال والمرضى، وتحريق القبائل كاملة، بديارها وحيواناتها وأقواتها.

ثم حاربتم معها وفي صفها، وفي سبيل بقائها نصف هذه المدة، ففتحت بأبنائكم الأوطان وقهرت بهم أعداءها، ورحمت بهم وطنها الأصلي، فما رعت لكم جميلًا، ولا كافأتكم بجميل، بل كانت تنتصر بكم، ثم تخذلكم، وتحيا بأبنائكم، ثم تقتلكم، كما وقع لكم معها في شهر مايو سنة 1945، وما كانت قيمة أبنائكم الذين ماتوا في سبيلها، وجلبوا لها النصر، إلّا أنها نقشت أسماء بعضهم في الأنصاب التذكارية، فهل هذا هو الجزاء؟

طالبتموها بلسان الحق، والعدل، والقانون، والإنسانية، من أربعين سنة، بأن ترفق بكم، وتنفس عنكم الخناق قليلًا، فما استجابت. ثم طالبتموها بأن ترد عليكم بعض حقوقكم الآدمية، فما رضيت. ثم طالبتموها بحقكم الطبيعي، يقركم عليه كل إنسان، وهو إرجاع أوقافكم ومعابدكم وجميع متعلقات دينكم، فأغلقت آذانها في إصرار وعتوّ. ثم ساومتموها على حقوقكم السياسية بدماء أبنائكم الغالية التي سالت في سبيل نصرها، فعميت عيونها عن هذا الحق الذي يقرره حتى دستورها، ثم هي في هذه المراحل كلها، سائرة في معاملتكم من فظيع إلى أفظع.

أيها الإخوة الجزائريون الأبطال:

لم تبقِ لكم فرنسا شيئًا تخافون عليه، أو تدارونها لأجله، ولم تبقِ لكم خيطًا من الأمل تتعللون به، أتخافون على أعراضكم وقد انتهكتها؟ أم تخافون على الحرمة وقد استباحتها، لقد تركتكم فقراء تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه؟ أم تخافون على الأرض وخيراتها، وقد أصبحتم فيها غرباء حفاة عراة جياعًا، أسْعَدُكُم من يعمل فيها رقيقًا زراعيًّا يباع معها ويُشْتَرى، وحظكم من خيرات بلادكم النظر بالعين والحسرة في النفس؟ أم تخافون على القصور، وتسعة أعشاركم يأوون إلى الغيران كالحشرات والزواحف؟ أم تخافون على الدين؟ ويا ويلكم من الدين الذي لم تجاهدوا في سبيله، ويا ويل فرنسا من الإسلام: ابتلعت أوقافه وهدمت مساجده، وأذلت رجاله، واستعبدت أهله، ومحت آثاره من الأرض، وهي تجهد في محو آثاره من النفوس.

أيها الإخوة المسلمون:

إن التراجع معناه الفناء.

إن فرنسا لم تبقِ لكم دينًا ولا دنيا، وكل إنسان في هذا الوجود البشري إنما يعيش لدين ويحيا بدنيا، فإذا فقدهما فبطن الأرض خير له من ظهرها.

وإنها سارت بكم من دركة إلى دركة، حتى أصبحت تتحكم في عقائدكم وشعائركم وضمائركم، فالصلاة على هواها لا على هواكم، والحج بيدها لا بأيديكم، والصوم برؤيتها لا برؤيتكم، وقد قرأتم وسمعتم من رجالها المسؤولين عزمها على إحداث (إسلام جزائري) ومعناه إسلام ممسوخ، مقطوع الصلة بمنبعه في الشرق وبأهله من الشرقيين.

إن الرضى بسلب الأموال قد ينافي الهمة والرجولة، أما الرضى بسلب الدين والاعتداء عليه فإنه يخالف الدين، والرضى به كفر بالله وتعطيل للقرآن.

إنكم في نظر العالم العاقل المنصف لم تثوروا، وإنما أثارتكم فرنسا بظلمها الشنيع وعُتُوِّها الطاغي، واستعبادها الفظيع لكم قرنًا وربع قرن، وامتهانها لشرفكم وكرامتكم، وتعديها المريع على مقدساتكم.

إن أقل القليل مما وقع على رؤوسكم من بلاء الاستعمار الفرنسي يوجب عليكم الثورة عليه، من زمان بعيد، ولكنكم صبرتم، ورجوتم من الصخرة أن تلين، فطمعتم في المحال، وقد قمتم الآن قومة المسلم الحر الأبي فنعيذكم بالله وبالإسلام أن تتراجعوا أو تنكصوا على أعقابكم. إن التراجع معناه الفناء الأبدي والذل السرمدي.

إن شريعة فرنسا أنها تأخذ البريء بذنب المجرم، وأنها تنظر إليكم مسالمين أو ثائرين نظرة واحدة، وهي أنها عدو لكم وأنكم عدو لها. ووالله لو سألتموها ألف سنة، لما تغيرت نظريتها العدائية لكم، وهي بذلك مصممة على محوكم، ومحو دينكم وعروبتكم، وجميع مقوماتكم.

إنكم مع فرنسا في موقف لا خيار فيه، ونهايته الموت، فاختاروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي هي شر من الموت.

إنكم كتبتم البسملة بالدماء، في صفحة الجهاد الطويلة العريضة، فاملأوها بآيات البطولة التي هي شعاركم في التاريخ، وهي إرث العروبة والإسلام فيكم.

ما كان للمسلم أن يخاف الموت، وهو يعلم أنها كتاب مؤجل، وما كان للمسلم أن يبخل بماله أو بمهجته، في سبيل الله، والانتصار لدينه، وهو يعلم أنها قربة إلى الله وما كان له أن يرضى الدنية في دينه، إذا رضيها في دنياه.

أخلصوا العمل وأخلصوا بصائركم في الله واذكروا دائمًا، وفي جميع أعمالكم، ما دعاكم إليه القرآن من الصبر في سبيل الحق، ومن بذل المهج والأموال في سبيل الدين، واذكروا قبل ذلك كله قول الله

[وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ] وقول الله: **[كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ]**.

أيها الإخوة الأحرار:

هلموا إلى الكفاح المسلح.

إننا كلما ذكرنا ما فعلت فرنسا بالدين الإسلامي في الجزائر، وذكرنا فظائعها في معاملة المسلمين، لا لشيء إلّا لأنهم مسلمون، كلما ذكرنا ذلك احتقرنا أنفسنا واحتقرنا المسلمين، وخجلنا من الله أن يرانا ويراهم مقصرين في الجهاد لإعلاء كلمته، وكلما استعرضنا الواجبات وجدنا أوجبها وألزمها في أعناقنا، إنما هو الكفاح المسلح فهو الذي يسقط علينا الواجب، ويدفع عنا وعن ديننا العار، فسيروا على بركة الله، وبعونه وتوفيقه، إلى ميدان الكفاح المسلح، فهو السبيل الواحد إلى إحدى الحسنيين: إما موت وراءه الجنة، وإما حياة وراءها العزة والكرامة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة

مُحَمَّد البشير الإبراهيمي

الفضيل الورتلاني

القاهرة 15 نوفمبر 1954

تمهيد:

أصل الثورة في اللغة هو انبعاث الشيء؛ قال الإمام ابن فارس (ت 395هـ): "(ثَوَرَ) الثَّاءُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ قَدْ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا بِأَدْنَى نَظَرٍ؛ فَالْأَوَّلُ انْبِعَاثُ الشَّيْءِ ...

فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: ثَارَ الشَّيْءُ يَثُورُ ثَوْرًا وَثُؤُورًا وَثَوَرَانًا، وَثَارَتِ الْحَصْبَةُ تَثُورُ، وَثَاوَرَ فُلَانٌ فُلَانًا، إِذَا وَاثَبَهُ، كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ثَارَ إِلَى صَاحِبِهِ، وَثَوَّرَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ شَرًّا، إِذَا أَظْهَرَهُ"[1].

وهذا المعنى الأصيل في جذرها اللغوي يتناسب بعمقٍ مع الثورة وَفقًا لمعناها المعاصر، والتي عُرِّفت بتعريفات من أمْثَلِها أنها: "تغيير النظام في المجتمع على وجه يحقق إرادة الشعب، أو أغلبه من غير الطريق الذي يرسمه النظام القانوني السائد فيه"[2].

والكيان الاستدماري نظامٌ بكل ما تعنيه الكلمة؛ لكنَّه نظام تدمير واحتلال واستغلال؛ وفي سبيل ذلك يحرص على تفتيت الشعوب وتجهيلها وتفقيرها بقصد استعبادها ونهب خيرات بلادها ومقدراتها؛ ولا ريب أنَّ نظاما بهذه الصُّورة البشعة والوجه الكالح، لن تستطيع أمة أن تنعتقَ منه إلا بثورة جارفة؛ قد تتعدَّدُ صورها إلا أنَّها في المحصلة ترجع إلى حرف واحد، وهو منابذة الاستدمار ومحاولة الإطاحة به.

لكنَّ عمادَ كلِّ ثورة هو الاستقلال الديني والثقافي واللغوي عن الاستدمار، دون أن ننفي أثرَ الاختلاف العرقي أو غير ذلك، وفي جميع الأحوال، لا بد أن يتميَّزَ الشعب عن مستعمره بخصيصة ما؛ تجعله قابلا للتكاتف والتآزر والتعاون على طرد المحتل.

ولعلَّ **أقوى سبب في نجاح الثورات هو الدين**؛ لأنَّه المثيرُ للطاقات الكامنة، والمنشط للعناصر الخاملة، والموقظ للنفوس النائمة، وهذا ما تفطَّن له الاستدمار؛ فحمل على الإسلام حملة شعواء بقصد اجتثاثه من المجتمع الجزائري؛ فلما أُسقط في يده واستحال عليه ذلك، وتيقنَّ أنَّ دون ذلك خرط القتاد !، انطلق إلى خطة خبيثة؛ وهي استحداث ما سماه الإبراهيمي في بيانه: (إسلامٌ جزائريٌّ)؛ ولكنه إسلام مطموسٌ وجهه، متغيرةٌ أحكامه، منحرفةٌ عقائده؛ دينٌ يجعل من الذئب راعيَ غنم، ويُصيِّرُ المفسد مصلحا، ويُسبغ على المستدمر حِلية وليِّ الأمر الذي تجب طاعته، وتلتزم أحكامه وحدوده.

وهذا ما تفطَّن له رجالات الإصلاح في الجزائر منذ بواكير الاحتلال الفرنسي؛ فحرصوا على تنقية الإسلام من الخرافة، وتحريره من استيلاء الدجالين الجاهلين على سُدَّةِ القيادة فيه؛ الذين أرادوه طيّعا في يد الاستدمار الفرنسي.

---

[1] مقاييس اللغة: (395/1).

[2] انظر: معجم مصطلحات العلوم الشرعية: (593/2).

وعطفا على ما سبق؛ نجد أن النَّبرة الدينية حاضرة بقوة في هذا البيان، وهو ما لا تخطئه العين فيه، ويمكن التركيز على مستندين فيه:

أولا: المستند العقدي:

العقيدة الإسلامية تختلف عن العقيدة النصرانية، هذا من مقررات الاعتقاد التي يتعاطاها المسلم مع كل صلاة يصليها إذا قرأ سورة الفاتحة، وتحديدا قول الله تعالى: **[اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ـ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ]** (الفاتحة: 6-7)؛ فالمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى.

ومن هنا رَكَّز البيان على هذا التمايز العقدي عن فرنسا؛ فاختصَّ بخطابه أهل البلاد الخُلَّص من المسلمين، وهو ما نتلمَّسُهُ في صدر البيان، كما في هذه العبارة:

: "نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد

نعيذكم بالله أن تتراجعوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها المسلمون الجزائريون: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..."[1].

فالقارئ لهذا النداء يلحظ مصطلحات مباينة للثقافة الفرنسية ومنطلقاتها العقدية، كاستخدام مصطلح المجاهد الذي يقابله المحارب عند الفرنسيين، والبسملة التي افتتح الله تعالى بها القرآن العظيم، والسلام الذي هو شعار المسلمين، والمسلمون الذي يقابله المسيحيون في الخطاب الفرنسي.

وإذا كان هذا مطلع البيان ومقدمته؛ فلا تسل عن لب النداء وجوهره !؟، وهذا في حقيقته جريٌ على سَنَنِ خطاب الجمعية المعتاد، في محاولة ترسيخ التمايز العقدي بين الجزائريين والفرنسيين، ولا أدلَّ على هذا ولا أصرح من كلمة الإمام ابن باديس (ت 1940م): "**ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا**، ولا يمكن أن تكون فرنسا، **ولا تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت**، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد **في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها، وفي دينها**"[2].

وزيادةً على هذا عوَّلَ البيان على مُبَرِّرَينِ قويين لمقارعة المحتل.

1 – محاربة فرنسا للدين الإسلامي:

---

[1] انظر: آثار الإبراهيمي: (33/5).

[2] آثار ابن باديس: (309/3).

قد يختلف الدين في رعايا دولة ما؛ ولكن الدولة المتحضرة تتسامح مع الدين المغاير لما عليه الطبقة الحاكمة؛ إما اتباعا لمقتضيات دينها، كما هو مقرر في الشريعة الإسلامية في مثل قول الله تعالى: **[لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ]** [البقرة: 256]، وقول الله تعالى أيضا: **[لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ]** [الممتحنة: 8]، وهو ما جرى عليه عمل السلف الصالح، ومن جاء بعدهم في التسامح مع أهل الأديان المخالفة.

وإمَّا لعلمانية الدولة كما هو حاصل عند بعض الدول في هذا العصر؛ ولكنَّ فرنسا الثورة، فرنسا اللائكية؛ فرنسا صاحبة الشعار الثلاثي: (الحرية– المساواة – الأخوة)؛ ضاق عطنها بالدين الإسلامي في الجزائر منذ أول يوم؛ بل وقبل احتلال الجزائر أصلا، وهذا ما صرَّح به قادة الاحتلال؛ ففي خطاب الملك: شارل العاشر، بتاريخ 2 مارس 1830 م، قال: "إن العمل الذي سأقوم به ترضية للشرف الفرنسي سيكون بعون العلي القدير **لفائدة المسيحية كلها**"[1].

ولهذا حملت حملةً شعواء على مساجده وأوقافه وعلمائه، وحاولت بالترغيب والترهيب، وبالحديد والنار ردَّ المسلمين عن هذا الدين؛ وإخراجهم من نور الإسلام إلى ظلام النصرانية؛ لا حُبًّا لهم، وضنًّا عليهم من العذاب، وتخليصا لهم من العقاب، ولكن لتجعل التنصير وِطاءً يسترقون به الجزائريين باسم الدين، ويهون عليهم به قيادهم.

ويكفيك من شرٍّ سماعه؛ هذا شارل دوفوكو (ت1919م) الضابط في الجيش الفرنسي، وصاحب الرحلات الواسعة في صحاري الجزائر والمغرب، وحامل مشروع تنصير الطوارق في أقصى الجنوب الجزائري، كتب في رسالة بعثها إلى صديقه فيتز جيمس (ت ؟؟ م) سنة 1912م، يقول فيها: "إن لم نستطع **تنصير الجزائريين في خلال خمسين سنة؛** فسيستعملون الإسلام لطردنا من إمبراطوريتنا الإفريقية"[2].

من أجل هذا حرصت فرنسا على تدمير الإسلام، وما فعلته أشهر من نار على علم، وهو ما نبَّهَ البيان في بعض جمله: "ثم طالبتموها بحقكم الطبيعي، يقركم عليه كل إنسان، **وهو إرجاع أوقافكم ومعابدكم وجميع متعلقات دينكم، فأغلقت آذانها في إصرار وعتوٍ ... إنَّ فرنسا لم تبقِ لكم دينًا ولا دنيا،** وكل

---

[1] كتاب الجزائر، أحمد توفيق المدني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984 م: (ص46).

[2] انظر: أحداث وأحاديث، مُحَمَّد الهادي الحسني، دار الوعي، ط1 الجزائر 2013 م: (ص170).

وقد صدق وهو كذوب؛ فقد تحررت الجزائر عام 1962م.

إنسان في هذا الوجود البشري إنما يعيش لدين ويحيا بدنيا، فإذا فقدهما فبطن الأرض خير له من ظهرها"[1].

2 – تبديل الشريعة الإسلامية باستحداث إسلام جزائري:

هذا ما قصد إليه البيان في هذا النص: "وإنها سارت بكم من دركة إلى دركة، حتى أصبحت تتحكم في عقائدكم وشعائركم وضمائركم، فالصلاة على هواها لا على هواكم، والحج بيدها لا بأيديكم، والصوم برؤيتها لا برؤيتكم، وقد قرأتم وسمعتم من رجالها المسؤولين عزمها على إحداث (**إسلام جزائري**) ومعناه **إسلام ممسوخ، مقطوع الصلة بمنبعه في الشرق وبأهله من الشرقيين**"[2].

فقد مَهَرَ مهندسو الاستدمار الفرنسي في التخطيط المتسلسل والمتجدد، ففي سُلَّم خططهم: خطة (أ) ثم خطة (ب) وهكذا دواليك؛ ففي بدء الاحتلال ادعوا رحابة الصدر، وسلامة النية؛ وعاهدوا الجزائريين على احترام دينهم ومقدَّساتهم؛ فلمَّا تمكنُّوا شنُّوا حرب إبادة جماعية؛ فلما تيقَّنوا أن لا قبل لهم باجتثاث أهل الأرض لكثرتهم وجموح توالدهم؛ ثم لأنَّ قانون الضرورة يقضي باستحيائهم كما فعل فرعون مع بني إسرائيل؛ لحاجتهم إليهم في التصنيع والزراعة والخدمة وأشغال السُّخْرَةِ، انتقلوا إلى مشروع تنصيرهم؛ فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، حتى إنَّ لافيجري (ت 1892هـ) عميد دعاة التنصير في الجزائر اشتدَّ عتابه للمحتلين الفرنسيين، وقال: "كيف تظلُّ فرنسا في الجزائر أربعين **سنة دون أن تنجح في تنصير المسلمين!؟**"[3].

فلما استيئسوا من رِدَّة الجزائريين، توجَّهَ اهتمامهم إلى مسخ الإسلام، وخياطة شريعة مبدَّلةٍ على مقاس الاستدمار، وجيَّشوا في سبيل ذلك المال، وأشباه الرجال.

نعم، صنعت فرنسا على عينها عمائم تنتسب إلى الشريعة، دورها خدمة فرنسا، وفرنسة الإسلام، لا أسلمة الفرنسيين، ولن أجد وصفا أبلغ مما سطره الإبراهيمي ببنانه، وجاش به وجدانه؛ لأنَّه من أكثر من اكتوى بنار هذه الفئة.

حيث قال عن مشروع الاستعمار في تكوين دهاقين المعبد: "... وتكوين طائفة تقوم لها بذلك **ممن تسميهم رجال الدين**، تنشئهم على الشروط (الوظيفية)، **وتروضهم على الأساليب الحكومية**، حتى ينسوا أنفسهم، وعلاقتهم بالدين وصلتهم بالأمة، **وتمتهنهم في مهن أخرى غير الدين**، حتى يعتقدوا أنهم

---

[1] انظر: آثار الإبراهيمي: (33/5).

[2] انظر: آثار الإبراهيمي: (33/5).

[3] انظر: تاريخ الجزائر الثقافي: (119/6).

يُؤدون عملًا للحكومة ورجالها لا لله ودينه، وأنهم يُصلون الركعة لمائة الفرنك لا للواجب الديني، وأنهم يقرأون الحزب (للبايليك) لا للتعبد بالتلاوة.

خابت الحكومة في الأولى والثانية خيبة ذريعة، أما في الثالثة؛ **فقد نجحت بهذا الجند العاطل المرتزق الذي جنَّدته واصطادته بشبكة المطامع، من الأئمة والمفتين، والخطباء والمؤذنين ... كوّرتهم وصورتهم، ونقحتهم، وحوَّرتهم، وعلى المنوال الحكومي دوَّرتهم ...**"[1].

وعماد هذه الطائفة في إسلامها الجديد، يمكن تلخيصه في النقاط الآتية:

1. التخلُّف العقلي.
2. التزمُّت وضيق الأفق.
3. الشعوذة والسحر والدَّجل والتخريف.
4. الذبائح عند قبور الأولياء والصالحين.
5. اعتقاد النفع والضر في مشائخ الطرق الصوفية والتسليم لهم.
6. اعتقاد النفع والضر في الأحجار والأشجار والآثار.
7. الفلكور الديني: وهي الزردات والوعدات.
8. تيسير حركة التنصير والاندماج والرسالة الحضارية الفرنسية[2].

ثانيا: المستند الفقهي –شرعنة الثورة المسلحة–:

قد يتبادر إلى الفهم أنَّنا نتحدث عن فتوى شرعية، أو بحثٍ فقهي كُتِبَ على طريقة الفقهاء في عرض المسائل والتأصيل لها، وهذا غير مقصود البتة؛ لأنَّ البيانَ وإن تلبَّسَ بالنَّفَسِ الفقهي، إلا أنَّهُ كُتِبَ بطريقة تتناسب مع خطابٍ إعلاميٍّ يوجه إلى عموم الشعب.

نعم، بدا عليه علو الكعب في الصناعة اللفظية، والبلاغة في الأساليب البيانية، بسبب أنامل الإمام الإبراهيمي التي خطَّته، ومع ذلك فسبْكُ البيان واضحُ المعنى، قويُّ المبنى، ونستطيع أن نجزم أنه خطاب يستهدفُ النخبة المثقفة أكثر من غيرها؛ لأنَّ الشعب الجزائري قد غلبت عليه الأمية، حيث جاوزت نسبتها: 80 بالمئة، ناهيك عن افتقاده لأدنى وسائل التواصل كالمذياع في المدن، فما بالك بالقرى والمداشر !؟، فإذا أُضيف إليه أنَّ عموم الشعب من أهل الريف، استبان لنا هذا المحمل بوضوح.

---

[1] انظر: آثار الإبراهيمي: (122/3).

[2] انظر: تاريخ الجزائر الثقافي (52/6).

وزبدة القول: أنَّ ملمح الإفتاء من أعظم سمات هذا البيان، ولهذا سيكون له أوفر النصيب في التحليل – إن شاء الله تعالى–، ذلك أنَّ للفتوى الفقهية أثرًا عميقا في اندلاع الثورات وتسعيرها، أو إجهاضها وإخمادها وتحجيمها، وقد تفطَّنَت فرنسا الصليبية باكرا لهذه الدور؛ فحرصت على توظيف بعض الفقهاء أو تحييدهم عن الصراع معها في أحسن الأحوال، وقد نجحت استخباراتها على مستوى بعض الأذناب والعملاء في توظيف بعض العمائم المنتسبة إلى مشيخة العلم داخل الجزائر أو خارجها، وحمِلِهَا على إصدار فتاوى فقهية تُحرِّمُ جهاد المحتل وتُجَرِّمُ مقاومته.

وشواهد ذلك كثيرة، لعل من أشهرها ما قام به الجاسوس الفرنسي ليون روش (ت 1901م) الذي ادَّعى الإسلام وتسمَّى باسم: عمر بن عبد الله؛ واشتغل كاتبا للأمير؛ ثم انتهى به الأمر إلى استصدار فتاوى تحظُرُ الجهاد معه.

وهذا نص كلامه إذ يقول: "**اعتنقت دين الإسلام** زمنا طويلا لأدخل على الأمير عبد القادر **دسيسة من قبل فرنسا، وقد نجحت في الحيلة، فوثق بي الأمير وثوقا تاما واتخذني سكرتيرا له** ... فوجدت هذا الدين الذي يعيبه الكثيرون منا أفضل دين عرفته، فهو دين إنساني طبيعي اقتصادي أدبي ... ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما، بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف، في عالم لا يعرف الشر واللغو والكذب، فالمسلم بسيط لا يظن بأحد سوءاً، ثم هو لا يستحل محرماً في طلب الرزق، ولذلك كان أقل مالاً من اليهود وبعض المسيحين.

ولقد وجدت في الإسلام حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم.

الأولى: في قول القرآن: «**إنما المؤمنون إخوة**» فهذا أجمل مبادئ الاجتماع.

والثانية: في فرض الزكاة على كل ذي مال وتخويل الفقراء حق أخذها ولو امتنع الأغنياء عن دفعها، وهذا دواء الفوضوية.

... إنه دين المحامد والفضائل، ولو وجد رجالا يعلمونه الناس حق التعليم، ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين وأسبقهم في كل الميادين، ولكن وجد بينهم شيوخ يحرفون كلمه ويمسخون جماله ويدخلون عليه ما ليس منه، **وإني تمكنت من استغواء بعض هؤلاء الشيوخ في القيروان والإسكندرية ومكة، فكتبوا إلى المسلمين في الجزائر يفتونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين وبأن لا**

ينزعوا إلى الثورة، وبأن فرنسا خير دولة أخرجت للناس ومنهم من أفتى بأن فرنسا دولة إسلامية أكثر من الدولة العثمانية، وكل ذلك لم يكلفني إلا بعض الآنية الذهبية"[1].

ولم يقتصر دور هؤلاء العملاء على تثبيط الثورات فحسب، بل كانوا في السِّلمِ حلفا للاستعمار سرًّا وجهرا، وحرصوا على تعبيد الجزائريين للاستعمار قلبا، بعد أن استذلَّهم الاحتلال قالبا.

وفي سبيل نيل رضا الاستدمار يتوسلون بكل قبيح إلى خدمتهم وإظهار حسن الولاء، وهو ما شهد به أحد كبار موظفي الولاية العامة بالجزائر، حيث قال: "لقد وصل بنا امتهان واحتقار الدين الإسلامي إلى درجة أنَّنا أصبحنا **لا نأذن بتسمية المفتي العام أو الإمام إلا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس، ولا يمكن لموظف أن ينال رضاً إلا إذا أظهر للإدارة الفرنسية إخلاصا منقطع النظير"**[2].

فلا غرابة بعدئذٍ، أن تجدهم طليعة إسنادٍ للاحتلال يُطيلون عُمُرُ جُثوّهِ على صدر الأمة، ومن نماذج هذا الصنف بعض مشايخ الطرقية، الذين ركبوا صهوة التخذيل وبث الأراجيف، ونشر روح الذوبان في الاستدمار الفرنسي.

وقد صرَّحَ بعض الجنرالات الفرنسيين بكفاءتهم في وأد الثورات في مهده، حيث سئل الجنرال غاستون بارلانج (ت ؟؟ م) عن سبب عجزه عن إخماد ثورة الفاتح من نوفمبر في الجزائر، وقد استطاع فعلها في ستة أشهر في المغرب !؛ فقال: "**في المغرب وجدت شعبا خاضعا لرجال الطرقية والزوايا، وبواسطته استطعت أن أتغلب عليه،** أما في الجزائر؛ فقد وجدت شعبا حرا لا يخضع لهؤلاء المشايخ وأمثالهم، ولذلك صعُبَ عليَّ أن أخمد الثورة الجزائرية"[3].

ومصداق ذلك ما حكاه الشيخ مُحَمَّد خير الدين (ت 1993م) عن فشل ثورة الأوراس 1916م رغم أنها اندلعت في وقت مناسب من جهة انشغال فرنسا بالحرب العالمية الأولى؛ لكنَّ استعانة فرنسا ببعض شيوخ الطرقية ساعد على إفشال الثورة، ووأدها في مهدها[4].

إذا تمهَّد هذا، فينبغي أن نستصحب في قراءتنا لهذا البيان المنحى الفقهي في تضاعيفه، ولا يعني هذا أنَّنا سنقرأ فتوى شرعية على سَنَنِ الفقهاء في التأصيل والتدليل كما ألمعنا إليه من قبل؛ لأنَّ كاتب البيان صاغهُ بطريقة تتناسب مع الخطاب الإعلامي الموجَّهِ إلى عموم الشعب.

---

[1] انظر: 32سنة في رحاب الإسلام، ترجمة مُحَمَّد خير محمود البقاعي (ص).

[2] انظر: ملحمة الجزائر الكبرى (99/1).

[3] انظر: ملحمة الجزائر الكبرى (145/1).

[4] انظر: مذكرات الشيخ مُحَمَّد خير الدين: (9/2).

ولهذا سنحاول أن نستنطق البيان لإبراز بعض البراهين الشرعية التي استند إليها في نصرة الثورة، وتحديدا في هذا الوقت المفصلي الحرج، مع محاولة الإفادة مما كتب بعدها أو قبلها مما يتصل بمقصد البيان.

1 – الرضا بالاستعمار كفر:

جاء في البيان: "إن الرضى بسلب الأموال قد ينافي الهمة والرجولة، **أما الرضى بسلب الدين والاعتداء عليه فإنه يخالف الدين، والرضى به كفر بالله وتعطيل للقرآن**"[1].

عادة علماء الفقه تفادي الجزم في المسائل الفقهية، لأن الفقه مبناه على الظنِّ، وهذه هي الجادة المسلوكة عند فحول الفقهاء، بيد أنهم يقطعون في مسائلَ تشديدا على المستفتين، وتضييقا لاحتمال المخالفة، وهذا ما يبرز جليًّا في هذه العبارة الشديدة، التي تحسم الحكم، وترفع الخلاف، فكأنَّ الفقيه يقول للمستفتي: إمَّا أن تثور وإمَّا أن تثور !؛ أي أنَّه لا مجال للقول المخالف.

وعليه؛ فلا مندوحة للجزائري عن الثورة؛ وأيُّ تصرف يدل على الرضا بالمستعمر؛ فإنَّه خروج عن ملة الإسلام، وهذه الطريقة مسلك يسلكه الراسخون في العلم، وهو مبنيٌّ على مراعاة المآلات؛ فيحصل التشديد حملا للمكلفين على لزوم غرز الشرع، ونفس الملحظ انتهجه علماء الجمعية في مسألة التجنس المشهورة، مع أنَّ بعض المعاصرين يراها من قبيل الحلال والحرام لا الكفر والإيمان.

ولكنَّ نضجَ فقهاء الجمعية وحسنَ فهمهم للشريعة ومقاصدها أو كما يسميه الإبراهيمي: (فقه الفقه)، حملهم على سلوك هذه الطريقة، التي أثبتت الأيام أنَّها آتت أكلها.

2 – موالاة المستعمر كفر:

يتميَّزُ الفقه الإسلامي بالواقعية؛ فلكلِّ مقامٍ مقال، فقد يستقرُّ المستدمر في أرض إسلامية، ويصير التعامل معه واقعا ماله من دافع؛ وهذا له أحكامه التي تندرج ضمن ما أَطلق عليه بعض المعاصرين بفقه الاستضعاف، وهو فقه مبنيٌّ على أساس الاضطرار، والضرورات لها أحكامها وقواعدها، كما أنَّ تنزيلها من موارد الظنون.

بيد أنَّ هذه الأحكام منوطة بالأعذار القاهرة، وما جاز لعذر بطل بزواله، وبناءً عليه؛ فإنَّ البيان أومأ إلى ذلك، ثمَّ جاءَ ما يُجلِّيه في كلمةٍ للإبراهيمي بنبرةٍ شديدة اللهجة، زبدتها حظر موالاة المستعمر بأيِّ صورة أو شكل من أشكال النصرة والتأييد، ومما جاء فيها: "وأنَّ موالاته بأي نوع من أنواع الولاية هي **خروج**

---

[1] انظر: آثار الإبراهيمي: (35/5)، وكتب الإبراهيمي بعدها في نفس مرحلة الثورة هذا النص: "لقد أثبتم بثورتكم المقدسة هذه عدة حقائق:

الأولى: أنكم سفَّهتم دعوى فرنسا المفترية التي تزعم أن الجزائر راضية مطمئنة **فأريتموها أن الرضى بالاستعمار كفر** وأنَّ الاطمئنان لحكمها ذل، وأنَّ الثورة على ظلمها فرض". آثار الإبراهيمي: (47/5).

عن أحكام الإسلام، لأنَّ معنى الموالاة له أن تنصره على نفسك وعلى دينك وعلى قومك وعلى وطنك **... لا توالوا الاستعمار فإن موالاته عداوة لله وخروج عن دينه**"[1].

هذه الأحكام ما هي إلا تنزيل فقهي للقاعدة القرآنية في التعامل مع المعتدين الكافرين، وهو قول الله تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ]** (المائدة: 51).

3 – الثورة ضرورة:

جاء في البيان: "إنكم في نظر العالم العاقل المنصف لم تثوروا، **وإنما أثارتكم فرنسا بظلمها الشنيع وعُتُوّها الطاغي**، واستعبادها الفظيع لكم قرنًا وربع قرن، وامتهانها لشرفكم وكرامتكم، وتعديها المريع على مقدساتكم"[2].

يستشف من هذا المقطع أنَّ الثورة خيارٌ لا مناص منه؛ والثورة ليست لعبا ولهوا؛ إنَّها الجهاد في سبيل الله تعالى[3]، والجهاد يعني البذل والفداء، والتضحية وسفح الدماء، ولهذا جُبلت النفوس على كراهته، كما قال الله تعالى: **[كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ]** (البقرة: 216).

لكنَّ العدو ما ترك لك غير هذا الخيار الوحيد، ومما يؤكد ذلك ما حكاه الشيخ مُحَمَّد خير الدين في مذكراته عن الإمام الإبراهيمي، أنَّه عقب مجازر 08 ماي 1945 م تمثَّلَ بقول الشاعر:

لَيْسَ بَيْنِي وَبينَ قَيْسٍ عِتابٌ ... غَيرُ طَعْنِ الكُلَى وحَزِّ الرِّقَابِ[4].

إذن؛ فحقُّ الجزائريين أن يثوروا، والعجب منهم ألا يثوروا !، وهم يتجرَّعون كأس الظلم، وقد تقرَّر في شريعتهم حقُّ المظلومين أن ينتصفوا من ظالمهم؛ وذلك قوله تعالى: **[أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ـ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ**

---

[1] انظر: آثار الإبراهيمي: (69/5).

[2] انظر: آثار الإبراهيمي: (35/5).

[3] في بيان 02 نوفمبر 1954 م أي في اليوم الثاني للثورة التحريرية صدر بيان عن مكتب الجمعية بالقاهرة مؤيِّدٌ للثورة، مما جاء فيه: "أذاعت عدة محطات عالمية **في الليلة البارحة أن لهيب ثورة** اندلع في عدة جهات من القطر الجزائري ... ثم قرأنا في جرائد اليوم بعض تفصيل لما أجملته الإذاعات، **فخفقت القلوب لذكرى الجهاد الذي لو قسمت فرائضه لكان للجزائر منه حظان بالفرض والتعصيب**". انظر: آثار الإبراهيمي: (37/5).

[4] انظر: مذكرات الشيخ مُحَمَّد خير الدين: (16/2).

اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ] (الحج: 39-40).

يقول الإمام الإبراهيمي: "ففي قوله تعالى: **[يُقَاتَلُونَ]** وفي قوله: **[بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا]** وفي قوله: **[الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ]** بيان للشروط المسوغة للحرب في الإسلام تحمل عليها نظائرها في كل زمان"[1].

ففي كلامه تركيز على الشروط المسوِّغَةُ للثورة، وهي كالآتي:

أ - **[يُقَاتَلُونَ]**: وقد قاتلت فرنسا الجزائريين بشراسة ووحشية منقطعة النظير، لم ترعَ لهم عهدا، ولم ترقبْ فيهم إلاًّ ولا ذِمَّةً.

ب - **[بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا]**: وقد ذاق الجزائريون من ظلم فرنسا، ما لم يذقه أحدٌ من البشر الذين ابتلوا باحتلالها، حتى أشقاؤهم في المغرب وتونس، بل لو عُرِضَ عليهم ظلم الإنجليز لحسبوهُ عدلا مقارنة باستدمار فرنسا، ولعلَّ من أعظم الظلم محاربة الإسلام وأوقافه وشعائره، كما أشار إليه البيان.

د - **[الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ]**: فقد سرقت فرنسا الأرض، وطردت الجزائريين إلى الكهوف، وشواهق الجبال، ومجاهل الصحراء.

جاء في البيان: "احتلت فرنسا وطنكم منذ قرن وربع قرن، وشهد لكم التاريخ بأنكم قاومتموها مقاومة الأبطال، وثرتم عليها مجتمعين ومتفرقين، نصف هذه المدة.

فما رعت في حربها لكم دينًا ولا عهدًا، ولا قانونًا ولا إنسانية، بل ارتكبت كل أساليب الوحشية، من تقتيل النساء والأطفال والمرضى، وتحريق القبائل كاملة، بديارها وحيواناتها وأقواتها"[2].

وهذه جميعا تجعل الثورة المسلحة مشروعةً بنصِّ الآية السابقة، بل إنَّ واحدة منها تكفي؛ فكيف باجتماعها؟!

4 – عدم اعتبار التفاوت في القوة:

التفاوت بين فرنسا والمجاهدين في القوة لا يقبل المقارنة، وهذا ما توكأ عليه بعض مناهضي المقاومة المسلحة، وممَّا نُقل في هذا الباب، ما حكاه العلامة المجاهد: مُحَمَّد الطاهر آيت علجت (ت2023م) عن بعض المشايخ في منطقته، إذ كان يثبط النَّاس عن نصرة الثورة والالتحاق بركبها، ويقول: البيضة لو ضربتها بالصخرة لانكسرت، ولو ضربت الصخرة بالبيضة لانكسرت البيضة أيضا.

---

[1] انظر: آثار الإبراهيمي: (93/5).

[2] انظر: آثار الإبراهيمي: (33/5).

فمثلكم كالبيضة ومثل فرنسا كالصخرة؛ فأنَّ تُنصرون !؟ [1].

ولكنَّ رؤية هذا البيان نابعة من مشكاة القرآن، ولهذا جاء في آخره ما يُلجم مثل هذه الأراجيف بقول الله تعالى: **[كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ]** (البقرة: 249).

5 – قتال المستعمر حتى يكون الدين كله لله تعالى:

تضمَّن البيان التنبيه إلى ضرورة الثورة على المستدمر وتنكب الفرار من قتاله بداعي تفتيته للدين الإسلامي، وتحريف شرائعه، وتعطيل أحكامه وحدوده، والخضوع لمثل هذا الافتئات، والرضا به مع القدرة على الممانعة يخلع ربقة الإسلام من عنق صاحبه، فقوانين فرنسا التي تدَّعي اللائكية !؛ تحشر أنفها في شؤون المسلمين حتى في شرائع العبادة المحضة، وهذا يستوجب دفع عاديتها على الشريعة الغرَّاء.

فمن أعظم مقاصد الجهاد في سبيل الله تعالى أن يكون الدين كله لله تعالى؛ مصداقا لقوله I: **[وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ]** (الأنفال: 39)؛ فإذا كان بَعْضُ الدِّينِ لِلَّهِ وَبَعْضُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ، وجب القتالُ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ[2].

فقوانين فرنسا الجائرة تحترم النصرانيَّ واليهوديَّ والملحد، وتمنحهم حريَّة التعبد وممارسة طقوسه، ولكنَّها تضيقُ ذرعا بالدين الإسلامي؛ فتتدخَّل في كل صغير وكبير، وتملي إرادتها في الدين كلِّه.

وأنصت إلى شهادة من عاصر وعايش بجميع جوارحه هذا التضييق، يقول الإمام الإبراهيمي: "ابدأ بما شئت، واختم بما شئت، من النُظم والقوانين التي تُساس بها الجزائر، تجدها كلُّها دائرة في مبادئها وغاياتها على محور واحد، **وهو احتقار المسلم الجزائري وبغضه،** وانظر ما شئت في أعمال الحاكمين كبارًا وصغارًا، وفي ملابساتهم للناس، وفي شمائلهم، تجد الأعمال مفسِّرةً لذلك، والملابسات حتى في الحديث جارية على ذلك، والشمائل ناطقة بذلك.

هلمَّ إلى الدين تجد الاستعمار الذي كفر بالأديان يقول لك بصريح القول والعمل: أنا أحق منك بالتصرّف في دينك، فلا تدخل المسجد إلا بإذني ولا تُصَلِّ إلا من وراء إمامي، ولا تحجّ إلا برخصتي، ولا تصُمْ إلا على رؤيتي، ولا تزكّ إلا بعد استشارتي، ولا تضع زكاتك إلا حيث أريد لا حيث تريد، **ومعنى هذا كله نسخ آية من القرآن، بآية من وحي الشيطان،** ولم يبق إلا أن تتلوها كما يريد: **[قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي]** [للاستعمار] وكذب الشيطان الرجيم، وأفك الاستعمار الذميم"[3].

---

[1] انظر: البيضة التي كسرت الحجر، صالح عوض، تاريخ المقال: 07/07/2014 ، الموقع: https://www.echoroukonline.com.

[2] انظر: مجموع الفتاوى: (469/28).

[3] انظر: آثار الإبراهيمي: (363/3).

6 – مقاصد الاستعمار تتلخص في هدم كليات الدين:

للاستعمار مقاصد ظاهرة وباطنة؛ فمقاصده الظاهرة التي يخاطب بها العالم والسُذَّجَ من عملائه في البلاد المستعمرة، أنه جاء لنشر الحضارة والمدنية، وإشاعة الثقافة، ورفع الجهل، والفقر والبؤس عن رعاياه، بينما باطنه هو الإبادة الجماعية والتهجير والتقتيل والتجهيل والتفقير، ويأتي على رأس مشاريعه تكفير الجزائريين.

ألم يقل سكرتير الجنرال بيجو سنة 1837 م في قسنطينة: "إنَّ أيام الإسلام قد دنت **وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح** ... أما العرب فلن يكونوا رعايا لفرنسا **إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا**"[1].

والبيان نبَّهَ إلى هذا جُمَلِيًّا، وفي بعض المقالات جاء التفصيل، ومن أجمعها مقولة الإبراهيمي: "الاستعمار الغربي –وكل استعمار في الوجود غربي– يزيد على مقاصده الجوهرية وهي الاستئثار والاستعلاء والاستغلال، مقصدًا آخر أصيلًا **وهو محو الإسلام من الكرة الأرضية** خوفًا من قوَّته الكامنة، وخشية منه أن يعيد سيرته الأولى كرَّةً أخرى.

وجميع أعمال الاستعمار ترمي إلى تحقيق هذا المقصد:

- فاحتضانه للحركات التبشيرية وحمايته لها وسيلة من وسائل حربه للإسلام.
- وتشجيعه للضالين المضلّين من المسلمين غايته تجريد الإسلام من روحانيته وسلطانه على النفوس، ثم محوه بالتدريج.
- ونشره للإلحاد بين المسلمين وسيلة من وسائل محو الإسلام.
- وحمايته للآفات الاجتماعية التي يحرمها الإسلام ويحاربها كالخمر والبغاء والقمار، ترمي إلى تلك الغاية. ففي الجزائر –مثلًا– يبيح الاستعمار الفرنسي فتح المقامر لتبديد أموال المسلمين، وفتح المخامر لإفساد عقولهم وأبدانهم، وفتح المواخير لإفساد مجتمعهم.

ولا يبيح فتح مدرسة عربية تحيي لغتهم، أو فتح مدرسة دينية تحفظ عليهم دينهم"[2].

7 – نسف شبه القاعدين عن نصرة الثورة:

بحكم أنَّ المسألة خطيرة في ميزان الشرع، فقد تصدى لها البيان من جهة العرض والاعتراض، ومن ناحية التدليل وناحية نسف الشبهات المثارة حول الموضوع، ويمكن أن يحصر هذا في شبهتين اثنتين، الأولى:

---

[1] انظر: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، رابح تركي عمامرة: (ص 44).

[2] انظر: آثار الإبراهيمي: (69/5).

مستفادة من البيان نفسه، والثانية: مستوحاة من بيان آخر جاء بمثابة التتميم والتكميل لهذا البيان، وهو فتوى موالاة المستعمر، وسنقسمها على النحو الآتي:

أ – موالاة المستعمر بغية نيل الحرية:

توهَّم بعض الفقهاء أنَّ في موالاة فرنسا على عدوها ما يشفع لهم عندها؛ فتجود عليهم بالحرية أو ببعض حقوق المواطنة بصفتهم فرنسيين، وهذا وهم محض، جاء في البيان: "ثم حاربتم معها وفي صفها، وفي سبيل بقائها نصف هذه المدة، ففتحت بأبنائكم الأوطان وقهرت بهم أعداءها، ورحمت بهم وطنها الأصلي، **فما رعت لكم جميلًا، ولا كافأتكم بجميل، بل كانت تنتصر بكم، ثم تخذلكم، وتحيا بأبنائكم، ثم تقتلكم، كما وقع لكم معها في شهر مايو سنة 1945**، وما كانت قيمة أبنائكم الذين ماتوا في سبيلها، وجلبوا لها النصر، إلّا أنها نقشت أسماء بعضهم في الأنصاب التذكارية، فهل هذا هو الجزاء؟ "[1].

والسعيد من وعظ بالتجارب، لأنَّ التاريخ يعيد نفسه على من لم يقرأه ويعتبر بأحداثه، وهذا ما حمل الإبراهيمي أن يصف المقتنعين بهذه الشبهة بالبلادة والبلاهة، وأنَّ في هذا القول مناقضة صريح المعقول؛ فقال: "**لا مثال للبلاهة والبلادة** أوضح من محالفة الضعيف للقوي إلا إذا صحَّ في الواقع وفي حكم العقل أن يحالف الديك النسر، أو تحالف الشاة الذئب.

كيف نحالف الأقوياء!؟؛ وقد دلّت التجارب أنهم إنما يحالفوننا ليتخذوا من أبنائنا وقودًا للحرب، ومن أرضنا ميدانًا لها، ومن خيرات أرضنا أزوادًا للقائمين بها، ثم تنتهي الحرب ونحن المغلوبون الخاسرون على كل حال، وقد تكرّرت النذر فهل من مُدَّكِر !؟ .... "[2].

إذن، اليأس من المستعمر راحة، ومن استوطن راحة القعود عن الثورة لم يجد عرْفَ الحرية.

ب – موالاة المستعمر بعذر الضرورة:

قد يتعلَّقُ القاعدون عن نصرة الثورة، المرتكسون في حمأة المستعمر بعذر الضرورة، والضرورات تبيح المحظورات، وهذه قاعدة شرعية مجمع عليها بين الفقهاء؛ هذا حاصل شبهتهم التي فنَّدَها الإبراهيمي، بل واحتجَّ بموجب دليلهم؛ فقال: "والمعاذير التي يعتذر بها الموالون للاستعمار كالمداراة وطلب المصلحة، يجب أن تدخل في الموازين الإسلامية، والموازين الإسلامية دقيقة تزن كل شيء من ذلك بقدره، وبقدر

---

[1] انظر: آثار الإبراهيمي: (34/5).

[2] انظر: آثار الإبراهيمي: (70/5).

الضرورة الداعية إليه، **وأظهر ما تكون تلك الضرورات في الأفراد لا في الجماعات ولا في الحكومات**"[1].

أي أنَّه لا عذر لهم في الضرورة؛ لأنَّ الدليل لا بد أن ينسجم مع المنظومة العامة في الاستدلال، والضرورة إنما تعتبر في الفرد في مثل هذه الحال، وأما الأمة وجماعات المسلمين؛ فلا ضرورة لهم في موالاة المستعمر؛ لأنَّ فرضهم جهاده، واقتلاع جذوره من هذه الأرض الطيبة، وهذا يسيرٌ عليهم لو أخذوا بأسباب النصر الشرعية والكونية، وتذرَّعوا بوسائله المعنوية والمادية.

هذا، ومن خلال هذه البراهين الشرعية والعقلية ننتهي إلى أنَّ نداء جمعية العلماء كان صريحا في نصرة الثورة منذ أيامها الأُوَلِ، وأنه موقف مستبصِرٌ، مبنيٌّ على تدبر في القرآن والسنة، واعتبارِ التجارب ومُخرجات الحياة، واحتكام إلى منطق العقل، فلا غرابة بعدئذ أن تصرح بوجوب الثورة على المحتل الغاشم، بل وأن تجعله أوجب الواجبات، كما جاء في البيان: " وكلما استعرضنا الواجبات **وجدنا أوجبها وألزمها في أعناقنا، إنما هو الكفاح المسلح** فهو الذي يسقط علينا الواجب ..."[2].

وهو ما ظهر في جهودها العملية في دعم الثورة، والتي أجملها الأستاذ: يوسف بوغابة في المجالات الآتية:

- تثبيت الثوار والأمة، وتحريضهم على الجهاد.
- تنظير الثورة وتصحيح الفكرة.
- التعبئة الجماهيرية.
- جمع التبرعات لفائدة الثورة.
- الاتصال بالزعماء والملوك والرؤساء.
- تكوين منظمات شعبية لدعم الثورة.
- صحافة الجمعية شكلت ضغطا إعلاميا على المستعمر.
- إبطال حيل الاستعمار في خلق قيادة بديلة.
- تدويل الأزمة الجزائرية.
- مشاركة جمعية العلماء في الثورة المسلحة[3].

وهو جهد مبرور، وسعي مشكور، تكاتف مع جهود الحركة الوطنية، التي استطاعت تنظيم صف الشعب الجزائري المجاهد منضويةً جميعا تحت لواء جبهة وجيش التحرير الوطني.

---

[1] انظر: آثار الإبراهيمي: (69/5).

[2] انظر: آثار الإبراهيمي: (36/5).

[3] انظر: معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين –دراسة تحليلية–، ص331-358.

الخاتمة:

في نهاية هذه الورقة نخلص إلى نتائج، هذه أهمها:

9. يكتسي البيان أهمية بالغة، من ناحية تاريخ صدوره وهو 15 نوفمبر 1954م.
10. البيان ذو قيمة فقهية؛ لصدوره من هيئة شرعية يترأسها فقهاء وعلماء الشريعة الإسلامية.
11. بيان مكتب جمعية العلماء في القاهرة مؤيِّدٌ للثورة بلا امتراء.
12. تميزَّ البيان بالاحتكام إلى المرجعية الفقهية الشرعية، وإن نحى منحى الخطاب الإعلامي.
13. من خصائص البيان القطعُ في الحكم الفقهي، والصرامة في إطلاق أحكام الردة على من ينصر المستعمر ويرضى باحتلاله.
14. زاوج البيان بين الخطاب العقدي والفقهي.
15. عوَّلَ البيان على العاطفة الدينية عند الشعب الجزائري، ووظَّفها في التحريض على الثورة.
16. لم يعتبر البيان التفاوت في القوة بين الثورة والمستعمر الصليبي الفرنسي.
17. عدَّ البيان الثورة ضرورة لا خيار في خوضها.
18. نسَفَ البيان شبهة التعاون مع المستعمر بنية الحظوة بالاستقلال.
19. لوحظ تبعا في البيان الحرص على الوحدة الوطنية في ظل مبادئ الإسلام، وهو ما يتماهى مع بيان أول نوفمبر 1954م.

هذا، وقد انتهت المداخلة إلى إشكالٍ جديرٍ بالبحث مع التجرُّد والموضوعية؛ وهو: لماذا يحصل اللغط أو الغلط في موقف الجمعية مع وجود هذا البيان وأشكاله؟، هل لعدم صحته وثبوته؟ أم لعدم صراحته؟ أم لمخالفة الفعل للقول؟ أم لوجود تصريح آخر يخالفه؟ أم لخصومة سياسية؟ أو عداوة فكرية لمشروع الجمعية؟ أم أنَّه جريٌ على سنة الثورات التي تأكل أبناءها ماديا أو معنويا؟

ومهما كان الجواب؛ فإنَّ الإشكال متعلقٌ بسؤال السَّبْقِ، فقد التحقت جمعية العلماء –بالإجماع– رسميا بالثورة التحريرية يوم 07 جانفي 1956م، **ومن أدرك ركعة مع الإمام فقد أدرك الصلاة !.**

قائمة المصادر والمراجع:

1) **الإبراهيمي** مُحَمَّد البشير. "آثار الإبراهيمي". جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي. (ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997م).

2) **ابن باديس** عبد الحميد. "آثار ابن باديس". تحقيق: عمار طالبي. (ط1، الجزائر، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، 1968م).

3) **بوغابة** يوسف، معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين –دراسة تحليلية–، قدم له: الشيخ عبد الرحمن شيبان رئيس جمعية العلماء، (ط1، الجزائر، دار زمورة، 2013م).

4) **ابن تيمية**، أحمد بن عبد الحليم. " مجموع الفتاوى ". تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، (المدينة المنورة، مجمع الملك فهد، 1416هـ).

5) **ابن فارس**، أحمد بن فارس. " مقاييس اللغة ". تحقيق: عبد السلام هارون. (ط1، بيروت، دار الفكر، 1399هـ).

6) **الحسني** مُحَمَّد الهادي. "أحداث وأحاديث"، (ط1، الجزائر، دار الوعي، 2013م).

7) **خير الدين** مُحَمَّد. " مذكرات الشيخ مُحَمَّد خير الدين "، (ط3، الجزائر، مؤسسة الضحى، 2009م).

8) **روش** ليون. "32سنة في رحاب الإسلام"، ترجمة: مُحَمَّد خير محمود البقاعي (ط1، بيروت، جداول، 2011م).

9) **سعد الله** أبو القاسم. "تاريخ الجزائر الثقافي"، (ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م).

10) **عمامرة** رابح تركي. "الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر". (ط4، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1981م).

11) **عوض** صالح، البيضة التي كسرت الحجر، تاريخ المقال: 07/07/2014، الموقع: https://www.echoroukonline.com.

12) **قليل** عمار. "ملحمة الجزائر الكبرى"، (ط1، قسنطينة، دار البعث، 1991م).

13) **مجموعة من المؤلفين**. "معجم المصطلحات الشرعية". (ط1، الرياض، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، 1438 هـ)

14) **المدني** أحمد توفيق. "كتاب الجزائر". (ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م).